الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

القســـــم: اللّغة والأدب العربي.
التّخصص: دراسات أدبية .

الشخصية الثورية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية- الأفيون والعصا أنموذجا-

مذكرة مُقدّمة لنيل شهادة الليسانس

إعداد الطــالبتين:
زراغ نوميديا
حميدو صونية

إشراف الدّكتور:
علوات كمال

السنة الجامعية: 2017/2016

شكر و عرفان...

يطيب لنا ان نتوجه بعظيم شكرنا و خالص امتناننا للأستاذ الكريم **علوات كمال** الذي شرفنا بقبوله الاشراف على مذكرتنا، و كان خير الناصحين و الموجهين لنا.

و لا يفوتنا تقديم الشكر للأستاذ الرائع **قارة حسين** الذي ساعدنا كثيرا بطرق مباشرة و غير مباشرة في انجاز هذه المذكرة. نشكرك جزيل الشكر استاذنا الكريم. و نقدم الشكر لاساتذتنا الاخرين الذين عملوا على السير الحسن لدراستنا.

و نتوجه بالشكر للزميلتين فضيلة و فريال، فقد انجزنا مذكراتنا معا و تعاونا كأيادي واحدة حتى انتهينا و الحمد لله.

اهداء...

إليك يا أغلى ما املك في حياتي اهدي بحثي المتواضع، أمي التي كانت سندا لي في حياتي... في ظل غياب الأب...

الى أخي الوحيد "يوبا" و الى أختي و زوجها و ابنتهما "أسيا"...

الى جدتي "جازية" رحمها الله و اسكنها فسيح جنانه. و الى جدي "حسين" حفظه الله من كل شر...

الى جميع أصدقائي و صديقاتي الأعزاء من داخل و خارج الوطن... كنزة، سمية، فريال، كمال، ناتاليا، فضيلة و خاصة صونيا... والى كل من ذكر و لم يذكر

الى أساتذتي منذ الابتدائية الى غاية الجامعة. فلولاهم لما وصلنا الى ما علينا الآن...

أشكركم على كونكم دائما حاضرين لأجلي...

نوميديا

إهداء...

اهدي ثمرة هذا الجهد إلى والدي الكريمين

إلى أخي "كسيلة"

إلي أختي "ليديا"

إلى كل صديقاتي و رفيقات دربي... أمينة، فضيلة، فريال، كنزة... و خاصة نوميديا

إلى أساتذتي في جميع الأطوار التعليمية الذين لهم دور كبير فيما وصلنا إليه اليوم

إلى كل الزملاء و الأقارب...

صونية

مقدمة:

الحمد لله الذي أمنّ على الإنسان بنعمة العلم و علمه ما لم يعلم. اللهم صلي و سلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء و المرسلين و على صحبه أجمعين. أما بعد...

نتيجة لاحتكاك الثقافة الجزائرية بالثقافة الفرنسية إبان الاحتلال الفرنسي ظهر كتاب متشبعون بالثقافة الفرنسية لكن همهم الوحيد كان التعبير عن آلام و تطلعات الشعب الجزائري. فاتخذوا لغة العدو وسيلة لمعالجة هذه القضايا الوطنية الحساسة في إعمال أدبية و روائية حافظت على شهرتها و بقيت معروفة إلى حد اليوم. فبرزت منهم عدة أسماء استطاعت مواجهة العدو الفرنسي بقلمها قبل سلاحها و ترجمت الهوية الوطنية إلى كلمات في أعمالها. و من ابرز هؤلاء الروائيين الأديب مولود معمري الذي لديه عدة أعمال أدبية و روائية اظهر من خلالها ما كان يعانيه الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي لأرضه. و لعل ابرز هذه الأعمال رواية الأفيون و العصا التي لاقت صدى كبير لدى القراء و النقاد. و هذه الرواية هي موضوع مذكرتنا، فقد كان اهتمامنا منصبا حول الشخصية الثورية في هذه الرواية لأنها كانت متنوعة بين شخصيات جزائرية و أخرى فرنسية اختلفت طبقاتها الاجتماعية و مستوياتها الثقافية.

تمحورت إشكالية البحث حول مجموعة من التساؤلات و الفرضيات:

- كيف ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية؟ و كيف كان تطورها؟

- إلى أي مدى أثّرت الثورة في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة؟

- من هم أهم روادها؟ و ما هي أشهر رواياتهم؟

- من هو مولود معمري؟ و ما هي أهم أعماله في مسيرته المهنية و الأدبية؟

- كيف تناول مولود معمري الشخصية الثورية في عمله الروائي الأفيون و العصا؟

و لقد كان الدافع الذي حفزنا على اختيار هذا الموضوع هو اهتمامنا بالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية الذي لاقى شهرة عالمية، حتى ان أدباءه تفوقوا على الأدباء الفرنسيين الذين يكتب الجزائريين بلغتهم. و لان هذا الموضوع لم نجد من قام بدراسته من قبل في مذكرة تخرج، بل كان على شكل بحث قصير جدا لم يستطع ان يعطي الرواية حقها من الدراسة. و لقد كان لأستاذنا المشرف " كمال علوات " دور كبير في إرشادنا إلى دراسة هذا الموضوع من بين مواضيع أخرى وقع عليها اختيارنا.

و في محاولة منا للإلمام بجوانب هذا الموضوع اتبعنا خطة بحث تنطلق من مقدمة و يليها مدخل و بعده فصلين نظري و تطبيقي. المدخل تناولنا فيه الشخصية من وجهات مختلفة كالشخصية في الأدب و الشخصية البطولية و كذلك انواعها. في الفصل الاول النظري قسمناه الى مبحثين تطرقنا فيهما الى الادب الجزائري في ظل الثورة التحريرية في المبحث الاول، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في المبحث الثاني. الفصل الثاني التطبيقي قسمناه الى ثلاث مباحث، أولها نبذة عن مولود معمري و أهم أعماله، المبحث الثاني بطاقة قراءة لرواية الأفيون و العصا، أما المبحث الثالث فيتناول الشخصية الثورية في رواية الأفيون و العصا.

اعتمدنا في الاجابة عنها على المنهج التحليلي الوصفي، و قد كان السبب في هذا أننا نصف طبيعة الشخصية الثورية وفعالياتها في المتن الروائي الجزائري وتحليلي من خلال تحرك هذه الشخصية في احداث الرواية.

و على الرغم من الصعوبات التي واجهتنا خلال عملنا على هذه المذكرة و من أهمها قلة المصادر و المراجع في هذا الموضوع الذي درسناه، لكن استطعنا – و بحمد الله – تقديم دراسة بعد بذل مجهود في الحصول على بعض المراجع و منها

كتاب " الأدب الجزائري باللسان الفرنسي" لأحمد منور و كذلك " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " لأبي القاسم سعد الله، إلى جانب المجلات و الأطروحات التي حصلنا عليها من الانترنت بمشقة بسبب عدم توفرها في المكتبة.

مدخل:

1 - تعريف الشخصية:

*لغة:

ورد تعريف الشخصية في معجم لسان العرب لِابن منظور أنّها: « شَخصُ: الشَّخصُ: جماعة شَخْصٍ الإِنسان غيره، مذكّر، و الجمع اَشْخاصٌ و شُخوصٌ و شِخَاصْ. »[1] و كذلك « فانه اثبت الشَّخص أراد به المرأة، و الشَّخصُ سواد الانسان و غيره تراه بعيد. »[2] و قد جاء في رواية اخرى « لا شيء أغير من الله، و قيل: معناه لا ينبغي لشخص ان يكون اغير من الله »[3] و للكلمة معنى اخر و هو « شخصت الكلمة في الفم: اذا لم يقدر على خفض صوته بها »[4]

و ما أراد به ابن منظور هنا من اختلاف المعاني ان كلمة "شخص" لها عدة معاني مختلفة تتراوح بين جماعة الانسان الى عدم القدرة على خفض الصوت بالكلمة. و المعنى الاقرب الى ما نرمي الوصول اليه هو الاول. و هو نفس التعريف الذي نجده

[1] - ابن منظور. لسان العرب. ط1. دار احياء التراث 1999. ج7. ص51

[2] - المرجع نفسه.

[3] - المرجع نفسه.

[4] - الخليل بن احمد الفراهيدي. كتاب العين. دار الكتب العلمية. ج2. ص314.

في المعاجم الاخرى ك "معجم العين" و "قاموس الصحاح". اما في صيغتها الاجنبية فهي مشتقة من الكلمة اليونانية "بيرسونا" و تعني القناع الذي كان يضعه الممثلون على وجوههم في المسرح.

*اصطلاحا:

يوجد العديد من التعريفات فيما يخص مصطلح "الشخصية ففي الكثير من الاحيان يستعمل للدلالة على الهوية « لاسيما في مجال علم النفس و علم الاجتماع »[1] غير ان اراء الباحثين ظلت مختلفة بشان هذا المصطلح. فمفهوم الشخصية لم ينحصر في مفهوم واحد بل تعددت مفاهيمه و تفرعت. و كذلك هي « سلوك متأصل في نفس الفرد مستمد من موروثه الجيني التربوي و يتميز به كل فرد عن من سواه »[2] أو « هي مجموعة من الميزات والصفات والعادات التي ينفرد بها الشخص و تميزه عن غيره من الناس »[3] و لذلك فإننا نجد أن كل شخص ينفرد بصفات و مميزات خاصة به، و لديه عادات و طقوس معينة تكون جزءاً من شخصيته المستقلة المتفردة. و يعرفها جيلفورد « شخصية الفرد هو ذلك النموذج الفريد الذي تتكون منه سماته »

[1] - احمد منور. الادب الجزائري باللسان الفرنسي. ديوان المطبوعات الجامعية. ص15.

[2] - المرجع نفسه.

[3] - مالك وليد. تعريف الشخصية. موضوع، اكبر موقع عربي بالعالم. افريل 2014

2 – الشخصية في الأدب:

تعتبر الشخصية واحدة من المخلوقات التي « يبتدعها المؤلف، لِتُعَايِشَ وقائع الحكاية وتُعَانِيَ تفاصيلها، وتتصرف داخل الحكاية »[1] بحيث تقوم بالدور المسند إليها في الحكاية، وتعمل على إبرازه بمميزات الشخصية المرتبطة بها دون غيرها من الشخصيات الأخرى. كما أن الشخصية في الرواية هي التي تجذب القارئ أو المستمع لها، فتحقق الاختيار الصحيح لها مهم للغاية. وللوصول إلى الاختيار الصحيح « لابد و أن تكون الشخصيات ذات أبعاد ثلاثية مثل باقي شخصيات الحياة: أشخاص لها مخاوف وآمال »[2] و أشخاص لها نقاط ضعف ونقاط قوة، أشخاص لها هدف أو أكثر في الحياة. و لعل البطل هو الشخصية المحورية في الاعمال الادبية لان جل الاحداث تدور حوله.

[1] - نص السردي (ادب). ويكيبيديا. 2017/03/23. 21:30

[2] - رواية (ادب). ويكيبيديا. 2017/03/25. 16:17

3 - أنواع الشخصية:

أ- الشخصية البسيطة:

وهي الشخصية الثابتة التي تبقى على حالها من بداية القصة إلى نهايتها فلا تتطور، حيث تولد مكتملة على الورق لا تغير الأحداث طبائعها، أو ملامحها، ولا تزيد ولا تنقص من مكوناتها الشخصية، وهي تقام عادة حول فكرة، أو صفة كالجشع وحب المال التي تبلغ حد البخل أو الأنانية المفرطة.

ب- الشخصية النامية:

وهي الشخصية التي تتطور من موقف إلى موقف- بحسب تطور الأحداث - ولا يكتمل تكوينها حتى تكتمل القصة، بحيث تتكشف ملامحها شيئاً، فشيئاً خلال الرواية أو السرد، أو الوصف، وتتطور تدريجياً خلال تطور القصة وتأثير الأحداث فيها أو الظروف الاجتماعية

و تنقسم الى عدة انواع حسب ما اراده القاص لها:

***الشخصية الرئيسية:**

هي الشخصية الفنية التي يصطفيها القاصّ لتمثّل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار أو أحاسيس. وتتمتع الشخصية الفنية المحكم بناءها باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي.

و تكون هذه الشخصية قوية ذات فاعلية كلما منحها القاص حرية، وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدراتها وإرادتها، بينما يختفي هو بعيداً يراقب صراعها، وانتصارها أو إخفاقها وسط المحيط الاجتماعي أو السياسي الذي رمى بها فيه.

وأبرز وظيفة تقوم بها هذه الشخصية هي تجسيد معنى الحدث القصصي، لذلك فهي صعبة البناء، وطريقها محفوف بالمخاطر.

***الشخصية المساعدة:**

على الشخصية المساعدة أن تشارك في نمو الحدث القصصي، وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث.

و يلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية، رغم أنها تقوم بأدوار مصيرية أحياناً في حياة الشخصية الرئيسية.

***الشخصية المعارضة:**

و هي شخصية تمثل القوى المعارضة في النص القصصي، وتقف في طريق الشخصية الرئيسة أو الشخصية المساعدة، وتحاول قدر جهدها عرقلة مساعيها.

و تعد أيضاً شخصية قوية، ذات فعالية في القصة، وفي بنية حدثها، الذي يعظم شأنه كلما اشتد الصراع فيه بين الشخصية الرئيسية، والقوى المعارضة، وتظهر هنا قدرة الكاتب الفنية في الوصف وتصوير المشاهد التي تمثل هذا الصراع.

4 – الشخصية البطولية:

الشخصية البطولية أو البطل الثوري هو شخصية شغلت العديد من الروايات والكتب لما لها من اهمية عند الشعوب. فهذه الشخصية تتمرد على النظام القائم في مكان او بلد ما ة تتلقى مساندة كبيرة من الشعب كونها في سعي دائم لأجل مصالحه (الاستقلال اذا كان بلد هذه الشخصية مستعمَرًا، او تغيير النّظام الدّكتاتوري). و غالبا ما يكون هذا البطل من فئة الشباب و له قدر كبير من الاحترام لدى الناس، لما له من مرتبة عظيمة عندهم. فالمجاهد العظيم "العربي بن مهيدي" و الثائر الارجنتيني "تشي غيفارا" لاقوا مساندات كبيرة من طرف شعوبهم.

الشخصية الثورية يمكن ان تكون شخصا عاديا تماما لا يظهر عليه أنه ينتمي إلى أي نظام ثوري، حتى يكشف عنه الغطاء في الاخير. و هو نفسه ما حصل في المجموعة القصصية "ليلة احميدة العسكري" للكاتب بوجادي علاوة، فلا احد توقع ان بائع الشاي البسيط واحد من المجاهدين الى ان كشف امره عندما اخفق في قتل واحد من الخونة، ف « في ليلة واحدة اصبح بياع الشاي الجوال الذي كان يعتبر مجرد شيء من أشياء المدينة، اصبح اسطورة ... احميدة العسكري فلاق... »[1].

[1] - بوجادي علاوة. ليلة احميدة العسكري. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1983. ص 34

الفصل الاول

***المبحث الأول:** الأدب الجزائري في ظل الثورة التحريرية.

***المبحث الثاني:** الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

المبحث الأول: الأدب الجزائري في ظل الثورة التحريرية.

بمجرد أن نسمع الثورة التحريرية حتى تتبادر إلى أذهاننا الثّورة الجزائريّة المباركة التي ضحّت بأبناء الجزائر في سبيل تحرير الوطن من الاستدمار الفرنسي الغاشم. فقد مرّت الجزائر بظروف قاسية أثّرت بشكل كبير على الشعب و على الحياة من مختلف الميادين خاصة الأدبية.

من المعروف عن الثورة التحريرية أنها جاءت لتحرير الشعوب المستعمرة من كل مظاهر الاستعباد و الهيمنة التي مرت بها منذ 1830م الى غاية 1954م تاريخ الثورة العظيمة. فعندما انطلقت الثورة التحريرية احتاجت الى صوت قوي يحمّس النّفوس، فكان الأديب أول من لبّى هذا النّداء فقام بتعبئة النفوس و شحنها بقيم الثورة و الجهاد. ومن المؤكد أن الثورة و الأدب متلازمان و يسيران معا. فالثورة لا تستغني أبدا عن الأدب. فإذا كان الشعر قد رافقها منذ اندلاعها بشعراء أمثال مفدي زكريا، وسجل بطولات المجاهدين. فان للأدب أيضا دور -هو الآخر- على الرغم من مجيئه متأخرا (1970) كون هذا الأدب في اكثره عبارة عن روايات استطاعت ان تجذب القراء و تكتسب الأهمية. لأنها تعالج قضايا هامة و جوهرية ألا و هي قضية الكفاح المسلح من أجل الحرية و الاستقلال.

الأدب الثوري هو الأدب الذي يُعبّر عن الفعل الثوري فهو صوت يصدُر عن ذات تطالب بالحرية. أو بعبارة أوضح فالأدب الثوري هو الأدب الذي يمجّد أفعال الثورة ويشيد بمنجزاتها وبكل تغيير تحدثه. و من هنا فـ « العلاقة بين الأدب والثورة علاقة تأثير فالأدب يدعو إلى الثورة والتغيير والثورة تغير من مفاهيم الأدب وشخصياته ورؤاه »[1]. وإذا كانت الثورة فعل متسارع، فمن الصعب رصدها في عمل فني، لذلك يحتاج العمل الأدبي الذي يرصد أحداث ثورة، إلى عبقرية فنية قادرة على متابعة الأحداث بعقلية ملهمة وإحساس فني لا تفوته جزئيات الحدث. فإن الرواية الجزائرية، وإن كان ظهورها متأخرا فإنها قد خصصت حيزا كبيرا للثورة و أحداثها، وبطولات المجاهدين، وجرائم جيش الاستعمار الفرنسي. لذا جاءت الروايات التي كتبت بعد سنة 1970 تحمل هم الإنسان الجزائري أيام مقاومته للاستدمار الفرنسي، وتشيد ببطولاته وأفعاله الثورية والإنسانية. و من ذلك اكتسبت أهميتها لأنها تعالج قضايا هامة وجوهرية ألا وهي قضية الكفاح المسلح من أجل الحرية والاستقلال. وهو عمل يدخل في دائرة ما يسمى بالتوثيق الفني للثورة.

والذي يطلع على الرواية الجزائرية يلاحظ بأن هناك قضايا كثيرة تناولتها مجموعة من الكتاب الجزائريين في أعمالهم السردية المتنوعة و من وجهات نظر مختلفة وإن كان الكل ركز على الجانب البطولي للشعب الجزائري إلى درجة المبالغة في ذلك.

[1] - احمد محمد عطية. البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة. وزارة الثقافة السورية. ص27 (ينظر تجليات الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية. وذناني بوداود. مقاربة في بعض النصوص. جامعة الاغواط.ص02)

والقصد من وراء ذلك كله إظهار قوة الشعب الجزائري و تماسكه، وبأنه قادر على تحقيق ما يريد دون خوف من طغيان الآخر وجبروته وقوته. فقد اكتسبت ثورة التحرير بأحداثها المتلاحقة « صفة المرجعية الأساسية في بنية الحدث الروائي وفضاءاته المتداخلة »[1] وهي حقيقة تؤكدها النصوص الروائية الجزائرية التي تناولت الثورة.

والملاحظ أن روايات مرحلة التأسيس كانت شديدة الارتباط بفترة الثورة، حيث ركزت على تسجيل بطولات الأمة الجزائرية ومآثرها من أجل نقلها للأجيال اللاحقة. و قد كان الهدف من وراء ذلك تعميق الوعي بالهوية الوطنية، وهو عمل يظهر مدى فهم الروائي الجزائري لدور الأدب الثوري في صقل الشخصية الوطنية، فالفكرة القابعة في لا وعي النص هي النضال الثوري. فروايات تلك المرحلة وإن كانت خطابات تخيلية فإنها تروم تأسيس علاقة مع التاريخ دون أن تكون تاريخا، وإن كانت تحمل ومضات منه. فهي تحيل على زمن قد مضى تتجلى فيه أحداث ثورة الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي. تمتد جذور الرواية الجزائرية الى ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث كان تعلم الفرنسية اجباريا فاستعانوا بها من اجل الرد على بعض الروائيين الفرنسيين الذين حاولوا تزييف حقيقة الوضع في الجزائر. لذا حاول أدباء الجزائر التعبير عن الوضع الحقيقي بلغة يفهمها الكثيرين لتحسين صورة الجزائري امام الرأي العام العالمي.

[1] - بشير بويجرة. الزمان في الرواية الجزائرية الحديثة. مخطوط دكتوراه. جامعة وهران. ص 328.

فمن الواقع المرير تشكل الادب الجزائري الرافض للاستعمار و الفاضح لسياسته التعسفية ضد شعب له كرامة يدافع عن ارضه و عرضه. بدا ذلك مع كتابات الاصلاحيين بريادة جمعية العلماء المسلمين على رأسهم عبد الحميد بن باديس و البشير الابراهيمي... وصولا الى الذين تابعوا المعركة الأدبية من بعدهم. لقد شكلت الثورة الجزائرية نقطة تحول أساسية في مسيرة التجربة الروائية الجزائرية حيث اصبح الحديث عن الثورة و النهل منها اعتبارا ضروريا في الكتابة الروائية. فمعظم الروائيين الجزائريين تأثروا بالثورة التحريرية و تناولها في اعمالهم الادبية. فالأديب الجزائري ربط نصه الادبي بين ما حدث أثناء الثورة « هي المرجعية الإيديولوجية و الفنية التي ينطلق منها اغلب الروائيين الجزائريين »[1]. كما أشار أحمد منور الى أربع مراحل اسهمت في معظم التطورات التي عرفها الأديب هي:

- مرحلة ما بين الحربين العالميتين.

- مرحلة ما بين الحرب العالمية الثانية و أول نوفمبر 1954.

- مرحلة الثورة.

- مرحلة ما بعد الاستقلال.[2]

[1] - علال سنقوقة. المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية. منشورات الاختلاف. ط1.ص48

[2] - احمد منور. الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياه. ديوان المطبوعات الجامعية.

الذي يطلع على الرواية الجزائرية التي تناولت احداث الثورة بإمكانه ان يقسمها - من ناحية تناول فضاء الأحداث - إلى قسمين:

القسم الأول: الروايات التي ركزت على فضاء الريف من أجل إظهار دور سكان الريف في الثورة. كرواية "اللاز" للطاهر وطار. ورواية على جبال الظهرة لمحمد ساري .ورواية "هموم الزمن الفلاقي" لمحمد مفلاح. ورواية حورية لمحمد مليس. وغيرها من الروايات.

القسم الثاني: الروايات التي ركزت على فضاء المدينة من أجل إظهار دور أهل المدن في الثورة. كرواية "طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش. ورواية "نار و نور" لعبد المالك مرتاض. ورواية "جسر للبوح وآخر للحنين" لزهور ونيسي وغيرها من الروايات.

أما من ناحية المواقف الأيديولوجية فيمكن الوقوف على موقفين:

***الموقف الأول:** وهو موقف مرتبط بالأيديولوجية الوطنية والمتشبث بالعروبة والإسلام وهو موقف قادة الثورة.

***الموقف الثاني:** وهو الموقف المتشبع بالأفكار الماركسية وهو موقف مضاد للموقف الأول. و أصحاب هذا الموقف كان نقدهم لقادة الثورة واضحا، فقد رصد أصحاب هذا الموقف كل ما كان يشوب الثورة من اختلافات و تصفيات، وبثوا ذلك في بعض نصوصهم الروائية.

الروائي - وهو يتناول الثورة - يحاول أن يقبض على بعض المشاهد الحية منها وفق وجهة نظره وموقفه من الثورة أي القبض على لحظة تاريخية حية ومتميزة من بين أحداث الثورة. فكل الأعمال الأدبية التي كتبت عن الثورة لا ترقى إلى مستوى الثورة وهذا الرأي لا يعني انتقاصا من تلك الأعمال وإنما هو الحقيقة التي يجب أن تقال. لأن من كتبوا هذه الأعمال لم يعايشوا الثورة فعلا وإنما شعوريا. و الدليل على هذا انه ليس هناك من بين الروايات الجزائرية التي اطلعنا عليها رواية تتناول مسار الثورة كرونولوجيا من بدايتها إلى نهايتها وإنما هناك مشاهد متنوعة تكشف عن بطولات الفرد الجزائري في مواجهته للآخر الفرنسي ومن يتعاون معه. فالذي يطلع على الرواية الجزائرية يجد في بعض نصوصها بعض المشاهد التي تتحدث عن المعارك التي كان يخوضها المجاهدون ضد الجيش الفرنسي.

لكن هناك البعض من النصوص الروائية من سارت في منحى انتقادي للوضع الذي أصبح سائدا بعد الاستقلال. فصورة الثورة الجزائرية تنعكس في الخطاب الروائي من خلال بطولات المجاهدين والفدائيين والمسبلين لتحدث حركة داخل مسارات السرد في النص وتضيف عليه جمالية نصية. و الملاحظ أن جل النصوص الروائية التي تناولت الثورة بطريقة أو بأخرى تلتقي في تلك المشاهد الحية للثورة. و هي مشاهد تعبر عن لحظة زمنية ستبقى حاضرة في الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية لأنها تمس جزء من تاريخها المشرق.

الرواية كانت شديدة الارتباط بفترة الثورة و كان الهدف منها تعميق الوعي بالهوية الثقافية فالروايات في فترة الثورة تسعى الى تأسيس علاقة مع التاريخ. فتصبح هذه الروايات اشبه بالتأريخ لكن الفرق بينهما ان الرواية التاريخية تعتمد عنصري المتعة و التشويق في حين ان التأريخ هو عمل بحت. و على الرغم من انفتاح الروائي على التاريخ إلا ان هذا لا يجعل منه مؤرخا. فالروائي قد « يعود إلى لحظة في الماضي لاستكشاف الحاضر وفهمه وهو قد يعود إليها كسند في مواجهة وطأة الحاضر »[1] وعودته هذه لا تعني أنه قد أصبح مؤرخا بالمفهوم الدقيق للكلمة، وذلك لسبب بسيط، هو أن هشاشة التخييل الروائي لا يمكنها أن تستوعب صرامة العقل التاريخي. فالخطاب التاريخي هو خطاب موضوعي، بينما الخطاب الروائي هو خطاب تخييلي.

و هنا يظهر أن علاقة الأدب الجزائري بالثورة التحريرية لم يعد يحتاج إلى تأكيد، كون هذه العلاقة كانت ولا تزال حميمة. فالكاتب الجزائري هذا الممتزج بالأرض روحاً ودماً قد سخر قلمه لينفث من ذاته أجمل ما تقوله الكلمة اعترافاً لهذا الوطن بجميله قد أطلق من أسره لينافس الشعر، بل وليتجاوزه بخطاب أكثر مصداقية و واقعية، بعد أن وجد الأرضية التي طالما بحث عنها والفضاء الذي اكتفى لأن يكون كمتنفس، وهكذا يمكن الحديث عن رواية بدأت تتلمس بعض عناصر الفنية مع الثورة التحريرية باعتبار أن هذه الثورة كانت الحلم العذب الذي طالما راود النفوس و « قد اقترن ميلاد الرواية

[1] - رضوان عاشور. الروائي والتاريخ. مجلة الطريق عدد3/1981. ص 134

الجديدة بحرب التحرير الجزائرية باعتراف من بعض الكتاب الفرنسيين أنفسهم، حيث يؤكد هذه الحقيقة ريمون جان »[1]. و تفتقت مواهب الكتاب فكانت لهم الدافع لخوض غمار الكتابة في هذا الجنس الأدبي، بعد أن كانوا لا يريدون الحديث عن فن يسمى الرواية، تاركين المجال للشعر، حتى غدا الأدب في الجزائر هو الشعر وكفى. إن الثورة التحريرية قد دفعت بالرواية خطوات إلى الأمام بأن جعلتها تتجه إلى الواقع، تستمد منه مضامينها وموضوعاتها، فتحول محور الارتكاز من التقاليد والحب والمرأة إلى الإنسان والنضال والروح الجماعية، وقد مثل هذه المرحلة أدباء، أبرزهم عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار. و بهذا ف « النتيجة التي نتوصل إليها هي أن الأدب الروائي، حاول وقد استطاع في الكثير من نماذجه تغطية منجزات الثورة الوطنية، حتى ولو جاء ذلك متأخرا ، وأن الاختلافات المطروحة حول كيفية هذه التغطية ترجع أساسا إلى التوجهات الفكرية والجمالية لدى كل أديب على حدة، بالإضافة إلى التناقضات التي أفرزتها هذه الثورة »[2]

[1] - عبد الملك مرتاض. في نظرية الرواية. عالم المعرفة. ص53

[2] - وذناني بوداود. تجليات الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية. مقاربة في بعض النصوص. جامعة الاغواط. ص 12

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

*المطلب الأول: التعريف بالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بين الحربين العالميتين الاولى و الثانية كرد ذكي على الرواية الكولونيالية التي حاولت تزييف حقيقة الوضع في الجزائر. لكن هذه الرّواية لم تتبلور الى شكلها الادبي حتى بعد الحرب العالمية الثانية و ما جرى في مجازر ماي 1945م، و بغضّ النظر على أنها كتبت بالفرنسية إلّا أنّ جلّ مواضيع هذه الرواية كانت تنصب في القالب السياسي و كذلك الاجتماعي. حيث جذبت الحرب الكتّاب و دفعتهم للتعبير عن الواقع المرير الذي كان يعيشه الشعب الجزائري ابان الثورة التحريرية والقمع الذي كان يمارس عليهم. والى جانب الكتاب الجزائريين كان هناك كتاب من اصول فرنسية قد أخذوا على عاتقهم مهمة فضح المعانات التي كان يعيشها الشعب الجزائري و أعلنوا – بطرق غير مباشرة – عن معارضتهم للأفعال التي قامت بها فرنسا في حق الشعب. و قد تأسست على يد جماعة من المثقفين خريجي المدرسة الفرنسية امثال مولود معمري. محمد ديب. كاتب ياسين.

و من جانب اخر تعرّفه الكاتبة عايدة أديب بامية بأنه: « كل عمل أدبي مؤلف سواء باللغة العربية او اللغة الفرنسية من قبل أيّ من سكان الجزائر الأصليين »[1]. و نفهم من هذا القول ان اللغة ليست شرطا أساسيا في كتابة الاعمال الادبية بل الأهم في ذلك هو المضمون و كون هذا الادب قد كتبه جزائري اصيل وليس مستوطنا يعيش في الجزائر.

إلا أن هذه الرواية قد شكلت جدالا كبيرا وسط النقاد و الدارسين الذين شكّكوا في انتمائه القومي تحت تساؤل: هل يمكننا اعتبار هذا الادب المكتوب بالفرنسية ادبا جزائريا بحتا او أدبا فرنسيا ؟ و قد تمت الاجابة عن هذا التساؤل بعدة اراء مختلفة نجد بعضهم من يعترف بعروبة هذا الأدب و انتمائه الوطني الجزائري على الرغم مما يحمله من ثقافة غربية، و من تدوين لغوي أجنبي. ومما يزيد لهذا الرأي تأييدا، التصريح القائل بوجوب « الاعتراف بشخصية المغرب العربي، و لا شك أن الأدب الجديد في إفريقيا الشمالية يعطي سببا واضحا لهذا الاعتراف »[2]. و من جانب اخر هناك عبد الله الركيبي الذي يقف الموقف نفسه من هذا الأدب - المكتوب باللغة الفرنسية - مصرحا: « وجملة القول فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، قد أوجد لظروف و أسباب في مرحلة معينة، و هو إن كتب بلغة أجنبية، فإنه عبر عن

[1] - عايدة أديب بامية. تطور الادب القصصي الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية 1982. ص 51/50
[2] - أبو القاسم سعد الله. دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ديوان المطبوعات الجامعية. ص 198

مضمون جزائري و واقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا »[1]. و هذه الآراء صحيحة فعلى الرغم من كون هذه الروايات قد كتبت بالفرنسية التي فرضت على الجزائريين إلا انها تمكنت من ان ترفع من شأن الادب الجزائري و تمنع سيطرة الادب الفرنسي عليه. فقد مكّنت هذه اللغة الكتاب العرب من دخول المعركة و يفرضوا حقيقتهم، حيث تمكنوا بكتاباتهم أن يغطوا معظم الاحداث التي مرت بها الجزائر ابان الاحتلال من جانب. و من جانب أخر اذا طالعنا كلا الادبين فسنلاحظ ان الفرق واضح بينهما في جانب المضمون من حيث انهما لا تعبران عن نفس القيم و الأفكار، و كذلك من جانب الشكل.

[1] - عبد الله الركيبي. القصة الجزائرية القصيرة. ص.249

*المطلب الثاني. نشأة و تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

ارتبط الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بتواجد القوات الفرنسية على أرض الجزائر، فبعض الأدباء المغاربة يعتبرون أن لغتهم الاولى هي اللغة الفرنسية بسبب سياسة الفرنسة التي مارستها فرنسا من اجل القضاء على مقومات الشعب الجزائري، حيث تمكنت اللغة الفرنسية من السيطرة على ابناء الجزائر و فرضت نفسها عليهم. وقد لجأ – اثر هذا – الكثير من الكتاب الى التعبير بلغة المستعمر لعدة أسباب، أبرزها:

- علاقتهم باللغة العربية كانت واهنة و ضعيفة.

- كثرة المحظورات الرقابية في العالم المغربي و العربي، و انكماش حركة النشر و القراءة بينما ازدهرت بشكل كبير في فرنسا.

- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مرتبط في غالب الاحيان بهجرة الكاتب من شمال افريقيا نحو فرنسا.

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ظهر في فترة مبكرة في الجزائر، و قد عالج هذه القضية أحمد منور في كتابه "الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياه". و يرجع المؤرخ و الباحث "جان ديجو" الذي يعتبر من الاوائل الذين

اهتموا بالأدب الجزائري أن « أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية الى سنة 1891 و هو عبارة عن قصة بعنوان "انتقام الشيخ" كتبها محمد بن رحّال، و هي مستقاة – حسب ما يذكر ديجو – من التقاليد الاجتماعية الجزائرية »[1]. لكن ديجو يرى أن الانطلاقة الحقيقية لهذا الأدب الناشئ في 1920م. لكن تعتبر سنة 1950م هي سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية وحصلوا على نصيب وافر من الثقافة الفرنسية دون أن يفقدوا إحساسهم المرهف بنبض مجتمعهم الذي كان يعيش وقتها حركية استثنائية على جميع الأصعدة السياسية والثقافة والاجتماعية. و قد سبقت الرواية الفرنسية نظيرتها العربية بسبب جمعية العلماء المسلمين و نهجها الاصلاحي.

إنّ الحديث عن الرّواية المكتوبة بالفرنسية يدفعنا أيضا الى تتبع مسار ظهورها و المراحل التي مرت بها، و التي انحصرت في المراحل الثلاث التالية:

*المرحلة الأولى: تمتد هذه الفترة – حسب رأي الكاتب عبد الكريم الخطيبي – من سنة 1945 الى غاية 1953. و قد سادت في هذه الفترة الرواية الاتنوغرافية و تجسد هذه الحقبة التاريخية بعض كتابات مولود فرعون، محمد ديب، مولود معمري و غيرهم... ففي هذه السنوات ألّف مولود فرعون رواية "ابن الفقير" سنة 1950 كما ألّف

[1] - احمد منور. الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياه. ديوان المطبوعات الجامعية. ص87.

مولود معمري "الهضبة المنسية" عام 1952، دون ان ننسى الجزء الاول من ثلاثية محمد ديب "الدار الكبيرة" التي أصدرها عام 1952.

*المرحلة الثانية: و يمكن تحديد هذه الحقبة الزمانية بوقوعها ما بين 1954 و 1958. و قد ظهرت أعمال اكثر واقعية و أكثر نضجا، متجاوزة بذلك النقد المجرد. و تجسدت في هذه الفترة أعمال كل من محمد ديب الذي كتب الجزء الثاني "الحريق" من ثلاثيته عام 1954، ليلحقها برواية "النول" عام 1957. الى جانب كاتب ياسين الذي نشر روايته الشهيرة "نجمة" سنة 1956.

*المرحلة الثالثة: في الفترة الممتدة من 1958 الى غاية 1962 تبلور أدب المقاومة، فبعد ان كان يبشر بالحرب في بدايته اصبح يقدس مسألة الاستشهاد في سبيل الوطن. و من احسن من يمثل هذه المرحلة مالك حداد بروايتيه "الانطباع الأخير" سنة 1958 و "سأهبك غزالة" سنة 1959، ليتلوها لاحقا برواية "التلميذ و الدرس" سنة 1960، وكذا رواية "رصيف الأزهار لم يعد يجيب" سنة 1961.[1]

في منتصف الستينات، سلك الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مسلكا جديدا. فقد ظهرت اثر الاستقلال اعمال توجه نقد شديد اللهجة للأوضاع السياسية و الاجتماعية السائدة في الجزائر بعد الاستقلال، و قد ظهر هذا في أعمال محمد ديب التي ظهرت

[1] - فيران فاطمة الزهراء. اشكالية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،(...) الدروب الوعرة انموذجا. بحث تقريري لنيل شهادة الليسانس. جامعة مغنية. ص 13/12.

بين 1968م و 1973م أهمها "رقصة الملك" في 1968م و "اله أرض البربر" في 1970م، إلى جانب رواية "ضربة شمس" لرشيد بوجدرة. و قد بين لنا أحمد منور بأن هذا التوجه الانتقادي او الاحتجاجي قد استمر حتى بعد وفاة الرئيس بومدين أواخر شهر ديسمبر 1978م. و في السبعينات طرحت مسائل أخرى أهمها مسألة الهوية الأمازيغية و كذلك الهوية الوطنية.

أمّا بعد هذا فقد ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية بشكل أوسع بعد أن كان محدودا ضمن عدد قليل من الأدباء الذين بقوا متمسّكين باللغة العربية، و من ضمنهم أحمد رضا حوحو الذي يقول عن تأثره بالأدباء الفرنسيين: « قرأت les misérables لفيكتور هيجو ... و ما كانت فترة حتى اختلطت حيرتي بحيرته، و آلامه بآلامي، فأسرعت الى يراعي أكتب عن الفقراء بالعربية ما كتبه هيجو بالفرنسية... »[1] و بهذا القول يعني حوحو أنه تأثر – مثل الأدباء الآخرين – بالفرنسية لكنه لم يسر على نهجهم بل كتب بلغته الأم. و يظهر بذلك أن الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية لاقى رواجا كبيرا أكثر من الادب العربي.

و على الرّغم من ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية إلا أن نظيرتها لم تختفي تماما. بل عادت للظهور من جديد لكنها تناولت موضوعا جديدا ألا و هو المأساة التي مرت بها الجزائر خلال الفترة التي تسمى "العشرية السوداء". فظهرت بذلك الرواية

[1] - مفقوده الصالح. نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس و التأصيل. جامعة بسكرة. ص 18

السوداء، متناولة فترة الإرهاب في الجزائر و ما ترتب عنها من خراب في الوطن « فإنّ ما حدث في جزائر التسعينات لم يكن يغري الأديب بالكتابة بقدر ما كان يجبره عليها، لأنها كانت الملاذ الأمن للمثقف آنذاك...»[1]. و لعل ابرز كاتب نقل لنا هذه الصورة يسمينا خضرا، الذي تعالج جل أعماله فترة الارهاب دارسا إياها بطريقة مختلفة في كل مرة ليبين سبب انضمام البطل إلى التنظيم الارهابي.

لم يبقى سوى أن نقول أنّ الادب المكتوب بالفرنسية في الجزائر قد فرض نفسه - من حيث الكم و الكيف - مقارنة بالدول المغاربية الاخرى التي كانت تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي كتونس و المغرب. و ربما يرجع هذا الى ان التواجد الفرنسي في الجزائر قد كان اطول مدة من الدول الأخرى، و تقاس المدة ب 130 عاما من الاحتلال. كما ان تأثير الثقافة الغربية على العقول و النفوس كان اشد و نرى ذلك واضحا في الادب لأن الأدباء تأثروا بلغة المستعمر و ليس به هو. « لا تمثل الرواية المكتوبة بالفرنسية في المغرب العربي التصورات الفرنسية أو المفاهيم الجزائرية، فهي اشبه بكائن مميز يجمع بين الشكل الفرنسي و المضمون الجزائري»[2] و يعني هذا ان الأدباء المغاربة قد استطاعوا التعبير عن اراءهم و افكارهم بلغة غير لغتهم و ببراعة فائقة تجاورت حتى الأدباء الفرنسيين نفسهم.

[1] - عامر رضا و كربيع نسيمة. مجلة علوم اللغة العربية و ادابها. العدد الاول. ص 241/240

[2] - جبور ام الخير. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيونقدية. اطروحة لنيل دكتوراه. جامعة وهران. ص 31.

*المطلب الثالث: روّاد الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

كثيرون هم الكتاب الذين تناولوا الثورة الجزائرية في أعمالهم الأدبية، عن الفترة التي سبقتها و خلال اندلاعها و حتى بعد الاستقلال، و تصنف هذه الروايات ضمن ادب الثورة الجزائرية. و لعل أبرز هؤلاء الكتاب:

الروائي الجزائري **مولود فرعون** صاحب الرواية الشهيرة "ابن الفقير Le Fils du Pauvre" التي كانت عمله الأدبي الأول و هي رواية لا تزال تثير اهتمام النقاد و تعتبر العمل الادبي الأهم في اطلاع تلاميذ الجزائر على الأدب الوطني. هذه الرواية تتحدث بصفة خاصة عن منطقة القبائل، فقد استطاعت أن تبين صراع المولود في هذه المنطقة في سبيل الحياة. و تعتبر "ابن الفقير" سيرة ذاتية للكاتب تصف مرحلتي الطفولة و الشباب التي عاشها بين صراعين: صراع العادات و التقاليد التي تشده الى القرية و تحتم عليه المحافظة على تراث الأجداد، و صراعه الاخر من أجل اجادة لغة و ثقافة الاخر الى جانب خوفه من الاخفاق في مدرسته الثانوية. و على الرغم من هذه العراقيل إلا انه يصمم على تحقيق النجاح و مواجهة مصاعب الحياة.

و إلى جانبها هناك روايته الأخرى "الأرض و الدم La terre et le sang" التي هي مختلفة نوعا ما عن سابقتها لأنها تتحدث عن تداخل الشعبين الجزائري و الفرنسي و المعاناة التي يواجهها المهاجرين، فبطل القصة المدعو عامر يهاجر الى فرنسا طلبا للعمل ليعود إلى قريته – بعد مدة – برفقة زوجته الفرنسية، لكنه لا يتمكن من التأقلم

مع واقعه الجديد في القرية التي تفرض عليه عاداتها و تقاليدها إلا بصعوبة بالغة. لكن البطل يموت في الاخير نتيجة انهيار منجم كان يعمل فيه رفقة عمه، و يفسر الأمر أنه مسألة أخذ بالثأر.

تتميز روايات **مولود فرعون** الشهيرة بكونها تدعوا الى الاندماج و الانفتاح على الآخر، فالكاتب مؤمن بفكرة التعايش مع الأوربي. و لهذا أتّهم بمعاداته للثورة لكن حادثة اغتياله اثبتت انه قد دعم القضية الوطنية على الرغم من أنه لم يركز كثيرا على قضية الثورة في كتاباته الروائية.

الكاتب الآخر الذي كانت بصمته واضحة في أدب المقاومة هو **محمد ديب** الذي صور في ثلاثيته الشهيرة "الدار الكبيرة La grande maison" ، "الحريق L'incendie" و "النول Le métier à tisser" مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر، حيث تحكي لنا الاجزاء الثلاثة عن الذل و البؤس الذي عانى منه الشعب الجزائري. فالمستعمر قد مارس عليهم سياسة التجهيل و التفقير اضافة الى سلبهم لإنسانيتهم الى جانب ممتلكاتهم و اصبحوا اجراء في اراضيهم. فشخصيات الرواية في رحلة بحث دائمة عن الخبز لإشباع بطونهم لكنهم يعانون من الجوع الدائم الذي ينهش أمعائهم « كانت أسر الدار الكبيرة تخادع الجوع و يخادعها الجوع مرات عديدة، فحياتهم تنقضي

على خداع الجوع... »[1]. و قد برع الكاتب في تصوير آلام الشعب الجزائري لكنه لم يتطرق إلى الثورة مثلما فعل مولود معمري في روايته الشهيرة "الأفيون و العصا l'opium et le baton".

و الى جانب هذين الأديبين الشهيرين هناك صاحب الرواية "رصيف الأزهار لا يجيب" الذي ظل يحمل مأساة مزدوجة – ربما بحس يختلف عن الآخرين – هذا الهم المزدوج المتمثل في الاستعمار و اللغة هو الذي حدد مسار كل أعماله، لكن بالرغم من مأساة اللغة إلا ان الاديب ظل نقيا يعبر عن هموم وطنية و قومية و إنسانية، في رؤية بعيدة عن التعصبية التي يعرف بها ادباء اخرون. و لعل اكثر ما تتميز به رواياته الثورية باعتبارها « مجموعة من العواطف و الاحاسيس اكثر منها مجموعة من الأفكار و الآراء »[2]، فهو ينظر إلى الأحداث بقلبه قبل فكره.

[1] - إيمان العامري. صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية. مجلة البحوث و الدراسات الانسانية. العدد 10. ص 187

[2] - نوال بن صالح. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير، صراع اللغة و الهوية. مجلة المخبر. العدد السابع. ص 225

الفصل الثاني

***المبحث الاول:** مولود معمري... حياته و مؤلفاته

***المبحث الثاني:** بطاقة قراءة لرواية الأفيون و العصا

***المبحث الثالث:** الشخصية الثورية في رواية الافيون و العصا

المبحث الأول: مولود معمري... حياته و مؤلفاته

المطلب الاول: حياة الكاتب

ولد الروائي مولود معمري في 28 ديسمبر 1917 بقرية تاوريرت ميمون بآث يني ولاية تيزي وزو. نشأ وسط أسرة ذات جاه وعلم مهدت له ظروفا مواتية لاحتضان العلم والأدب، حيث تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة القرية، وهي المنطقة التي كانت ملهما قويا لمختلف الأعمال الأدبية التي أصدرها فيما بعد. مرّت حياته بالعديد من العراقيل التي كانت مرتبطة بصفة مباشرة بالاستعمار الفرنسي للجزائر انذاك. إلّا أن هذه العراقيل لم تمنعه من الوصول الى مهنته كمدرس و كتابة أولى رواياته "الهضبة المنسية" التي صدرت عام 1952م، فنالت إعجاب كبار الكتّاب انذاك و ارتقت به الى مصف العظماء. « حيث تمنى الأديب طه حسين أن تكون كتبت بالعربية ليطلع عليها القراء العرب لما تحمله من قيم جمالية وفنية رائعة »[1]. و بعد ثلاث سنوات (أي سنة 1955م) أصدر الكاتب عملا روائيا جديدا بعنوان "نوم العادل" فأخذت شهرته تكتسح الأصقاع وازداد الطلب على روايتيه لما تحملانه من « بعد إنساني حضاري يرتبط

[1] - ينظر حمزة عماروش. محطات خالدة في حياة "مولود معمري". جزايرس، محرك بحث اخباري. 2010.

ارتباطا وثيقا بالإرث الثقافي للقبائل »[1]. كان الروائي مناضلا ثقافيا أسس للسانيات الأمازيغية وأنجز عملا كبيرا في النحو الأمازيغي أسماه "تاجرومت" وهو ما نعني به القواعد. لكن سرعان ما تفطنت فرنسا لأعماله فقررت استهدافه لأنه كان يسعى نحو السلم و الحرية، ما اضطره إلى مغادرة الوطن نحو الرباط أين قام بأبحاث حول الثقافة الامازيغية في المغرب الشقيق.

بعد الاستقلال عاد مولود معمري الى الجزائر و أصدر رائعته "الأفيون و العصا" سنة 1965م و قد لاقت تجاوبا كبيرا في الأوساط الأدبية. و هو لم يكتب فقط الروايات إنّما برز أيضا في أعمال أدبية أخرى، فقد قام كذلك بجمع أشعار "سي مُحَنْد أُومْحَند" في مساهمة منه للحفاظ على التراث الشعبي الامازيغي و كتب قصصا للأطفال. و بعد غياب طويل لأعماله الروائية، عاد برواية رابعة عام 1982م الموسومة "العبور" كما أسس مركزا للدراسات و الأبحاث الامازيغية في فرنسا.

توفي الكاتب الجزائري في ليلة 26 فيفري 1989م حينما كان خارجا من مدينة عين دفلى، كان الليل دامسا و لا يسمح له بالرؤية ما تسبب له بحادث مرور خطير نقل على اثره إلى المستشفى في حالة خطيرة. و بسبب عدم توفر المستشفى على طبيب جراح فقد وصلت روحه الى بارئها بعد ساعة من وصوله. لكن لا أحد من الطاقم

[1]- المرجع نفسه.

الطبي تعرف عليه بسبب وثائقه الشخصية التي تحمل اسم محمد معمري. و بعد وصول الدكتور عمار خريص تعرف على الجثة و اتصل بأهل الاديب ليخبرهم بالفاجعة. و في 28 فيفري نقلت جثته إلى موطنه الاصلي بقرية تاوريرت ميمون و يدفن في جو جنائزي رهيب حضره الكثير من الناس من مختلف الأعمار و الأجناس، قدموا جميعا لوداع الفقيد.

المطلب الثاني: ما يميز أعماله

أكثر ما تتصف به اعمال الكاتب مولود معمري هو الترتيب و التخطيط و هي تحمل مشاعر نفسانية كثيرة منها السلبية المتمثلة في الظلم الشديد و الحرمان و كذلك الإيجابية المتمثلة في القوة و الرغبة في الكفاح ضد الاستعمار، حيث يقول معمري في هندسة رواياته « لقد كان تخطيط "عالم الأفيون و العصا" أشبه ما يكون ببناء السمفونية، فجاءت أشبه بمؤلف موسيقي. حيث تساهم عدة عوامل تبدوا مختلفة في ظاهرها على الإيحاء بتناغم عام »[1]. و لعل ما تتميز به كتابات الاديب الراحل خلوها من الخيال الذي يتسم به الأدباء الآخرين، ففي أعماله يروي تجاربه الشخصية التي مر بها و لم يكن يكتب لأجل ان تنشر أعماله حيث يقول: « لم أدر كيف كتبت

[1] - عايدة أديب بامية. تطور الادب القصصي الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية. 1982م. ص 268

"الهضبة المنسية" التي تعود إلى عام 1940، لكنني كنت أقول أن تجاربي و تجارب اقربائي و رفاقي القبائليين تستحق أن تكتب... كنت اكتب لنفسي و بعد مدة طويلة – أي في عام 1946 – راودتني فكرة تحويل ما كنت قد سجلته الى رواية »[1]. كما اِختار الكاتب الاهتمام بالتراث الشعبي الأمازيغي «فجمع الاشعار و الأناشيد و ترجمها إلى الفرنسية، و دون قواعد اللغة الأمازيغية ليسهل تدريسها...»[2] فطاف مناطق الجزائر و خاصة منطقة الهقار و الطاسيلي، ليجمع تراثها الغنائي و يدونه.

احيانا تتطلب الكتابة التوقف لفترات من الزمن أو التمهل، و هو نفسه ما فعله مولود معمري حينما اصدر روايته "سبات العدل" في 1955م بقي حتى 1965م ليصدر روايته الثانية "الأفيون و العصا"، و يفسر ذلك بقوله «... حتى تمكنت من كتابة رواية مثل الافيون و العصا كنت شخصا بحاجة الى مرور فترة من الزمن»[3] و كأن بهذا القول يبرر غيابه عن الساحة الأدبية و حاجته الى الوقت لتنظيم أعماله . عام 1988م كرّم مولود معمري بالدكتوراه الفخرية منحتها له جامعة السوربون نظير ما قدمه من أعمال أدبية إنسانية خالدة.

[2] - جبور ام الخير. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيونقدية. اطروحة لنيل دكتوراه. جامعة وهران. ص54.

[2] - محمد ساري. الادب الجزائري الحديث: المؤسسون و التحديات الكبرى. 2012. ص04.

[3] - عايدة اديب بامية. تطور الادب القصصي الجزائري. ص139.

المطلب الثالث: بعض أعماله:

الأفيون و العصا 1965- L'opium et le bâton - رواية

الربوة المنسية 1952– La colline oubliée - رواية

غفوة العادل 1952- Le sommeil du juste - رواية

العبور 1982 -La traversée - رواية

تاجرومت ن تمازيغث (هي بمثابة أجرومية اللغة القبائلية)

قال الشيخ محند. 1969

أشعار سي محند أو محند. 1969

حمار الوحش -(Le Zèbre) قصة

الخطمي - (L'Hibiscus) قصة

أثارت روايات الاديب الراحل مولود معمري انتباه الكثير من الكتاب و الأدباء، فقد اعتبر عبد الكبير الخطيبي هذا الروائي « رائد الرواية النفسانية في أدب المغرب

العربي ذي التعبير الفرنسي »[1] لأنه استطاع التعبير عن المعاناة النفسية التي مر بها الشعب بلغة المستعمر. و كذلك تحدث عنه الأديب المصري "طه حسين" ناقدا لكتابه الربوة المنسية « وكتابه رائع أشدّ الرّوعة وأقصاها، بحيث يمكن أن يعدّ خير ما أخرج في الأدب الفرنسي أثناء هذه الأعوام الأخيرة، وإن كنت لا أعرف أنه ظفر بجائزة من هذه الجوائز الكثيرة، التي تُمنح في فرنسا لكُتُب لا ترقى إلى منزلة هذا الكتاب جمالاً وروعةً »[2]

[1] - جبور ام الخير. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيونقدية. ص53

[2] - ينظر بوداود عمير. طه حسين و مولود معمري...معا في الربوة المنسية. نفحة، اصنع رايك بنفسك. 2016

المبحث الثاني: بطاقة قراءة لرواية الأفيون و العصا

المطلب الاول: دلالة العنوان

يمثل العنوان أُولى الوحدات الدلالية المكونة لبنية العمل الابداعي، فهو « مرسلة لغوية تتصل في لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص (...) فتكون للنص بمثابة الراس للجسد نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية و جمالية »[1] و هذا القول إن دلّ على شيء فهو أن كل عمل أدبي يشترط فيه وجود العنوان لأنه بمثابة المفتاح الذي ندخل به إلى النص.

و عنوان هذه الرواية ذو دلالة أيضا، فهو يتشكل من وحدتين دلاليتين أساسيتين هما: الأفيون و العصا.

الأفيون التي تعني الاخضاع و التضليل و التزييف و التزوير.

العصا تدل على القوة و القتل و الضرب و التعذيب.

لكن ما يثير حيرة و تسائل القراء حول العنوان هو سبب اِجتماع متناقضين في العنوان « فالأفيون هي مادة مخدرة تستخرج من نبات الخشخاش تستعمل للتنويم و

[1] - ذويبي خثير الزبير. سيمولوجيا النص السردي، مقاربة سيميائية لرواية الفراشات و الغيلان. دار هومه.ص21

العصا دلالة على العنف و الظلم »[1]، و كأن العنوان يوحي بالخوف و الرهبة و الظلام الذي زرعتهم فرنسا في الشعب الجزائري و وضعتهم بين خيارين لا ثالث لهما؛ إمّا الإِنصياع و الانقياد للاستعمار بدون مناقشة أو الخضوع للسجن و التعذيب.

و قد ذكر هذين المصطلحين المتناقضين مرتين في الرواية، فقد اجتمعتا في مقولة بشير لصديقه الأستاذ « منذ ثلاث سنوات نحن نُبحث نسجن نُضرب (...) لكي نرضخ... للعقل أو للقوة (...) الجميع لم يستطيعوا أبدا الاختيار إلّا من هذين المصطلحين الفقيرين: الأفيون أو العصا »[2]. و كأن الكاتب يتحدث على لسان الشخصية و يذكر أن الشعب كان يتعرض لمطاردات لا تنتهي في أرضه و لا يملك إلا خيارين يحددان مصيره.

أما موضع الذِكر الآخر فهو بعد محاكمة أحد المجرمين، حيث استعملتها صديقته المغربية إيتو « - بعد أفيون الجريدة عصا القاضي ... »[3]. و كان إيتو تعني بهذا القول انه بعد أن زورت الجرائد حقيقة الرجل الذي أتهم بالإِجرام زورا و انتقل بعدها ليخضع لمحاسبة القاضي.

---

[1] - عبد الله العلايلي. الصحاح في اللغة و العلوم. ص35. (بحث سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها...)

[2] - l'opium et le bâton. Mouloud Mammeri. Press Pocket. 1972. P12

[3] - IBID P240

الكتاب كبير الحجم نوعا ما ينتهي ترقيمه عند الصفحة 381 طبع عام 1972م في المطبعة الفرنسية. مغلف بغلاف ورقي مطبوع عليه صورة المجاهدين و هم يواجهون شاحنة الاستعمار أما في الخلفية فنرى صورة فروجة اخت بشير مع امها، الى جانب ملخص للرواية. و قد اخذت الصورتين الرمزيتين من الفيلم الذي انتج سنة 1969م و اخرجه احمد راشدي. الكتاب مؤلف باللغة الفرنسية لكنه لم يترجم الى العربية.

حسب الكثير من النقاد و مولود معمري نفسه، كان الهدف من كتابة هذه الرواية هو اطلاع القراء على واقع الشعب الجزائري ابان الاحتلال الفرنسي و الرد على بعض الروائيين الذين حاولوا تزييف الوضع في الجزائر و الادعاء ان الثورة من فعل المتمردين. و قد ركز على قرية فقيرة واقعة تحت سيطرة جنود الاحتلال الذين يملكون حقوق تسييرها.

المطلب الثاني: مصادر الرواية

و لكتابة هذه الرواية اعتمد مولود معمري على الكثير من المصادر. فالحرب التحريرية في الجزائر هي مسرحها لأن الرواية وقعت أحداثها خلال فترة تواجد فرنسا بالجزائر و هي تعتبر حقائق تاريخية. إلى جانب ان الكاتب نفسه شاهد عيان عن

معظم الأحداث التي كتب عنها، فهو لم يسمع بها من الاخرين بل عايشها بحكم تواجده في تلك الفترة السوداء من تاريخ الجزائر.

و قد تطرق الكاتب الى عدة مواضيع مختلفة تنصب جلها حول الثورة، فقد اختار فترة زمنية و مكان معين. فمن الحياة المترفة الهادئة التي كان يعيشها الطبيب بشير في المدينة انتقالا الى حياة سكان قرية "ثالة" و بطولات المجاهدين في الجبال. و قد كانت خاتمة غير متوقعة، فقد صدر قرار بتدمير القرية بعد القاء القبض على المجاهد علي و اعدامه رميا بالرصاص. اما بشير فقد اختار الاختفاء عن الانظار.

المطلب الثالث: ملخص الرواية:

الرواية الشهيرة - التي أصدرها الكاتب عام 1965م - تتناول فترة مهمة من التاريخ الجزائري و هو فترة تواجد الاستعمار الفرنسي في أرض الوطن. وقد جعلنا الكاتب نتابع الاحداث عن طريق شخصيتين رئيسيتين في الرواية هما الطبيب **بشير لزرق** الذي يعيش حياة مترفة في المدينة بعيدا عن الحرب. و في المقابل هناك أخوه الاصغر **علي لزرق** الأُمّي الذي قرر الانضمام إلى صفوف الثوار في سن صغيرة.

فبشير الطبيب المثقف يعيش في المدينة مثل الأوربيين و يظهر من خلال هندامه و سلوكاته. حتى أن لديه صديقة فرنسية تدعى كلود. لكن حياته تنقلب رأسا على عقب بعد القاء القبض على مجاهد كان يبحث عنه و قد كان هو نفسه شاهد على اعتقاله عندما رأى « جنود الدورية الاولى يلوحون في كل مكان. واحد منهم كان يلوي ذراع الكاتب الصغير »[1] ، فيخاف أن يخبر الجنود عنه و يضطر للعودة الى قريته و مسقط رأسه لكنه يجدها في نفس بؤسها الذي تركها عليه. و كذلك حالة عائلته التي ساءت بين أخ اكبر « باع روحه للفرنسيين » على حد قول أمه، و شقيق اصغر صعد الى الجبال للانضمام الى الثورة و من اجل الكفاح. و بعد فترة يصله طلب من الكولونيل عميروش للانضمام الى اخوانه المجاهدين، فيوافق على ان يصير طبيبا في الخلية الثورية اين يلتقي اخاه الاصغر. لكنه لم يبقى طويلا هناك بل ارسل الى المغرب في مهمة سرية. فبقي هناك الى ان انجز اخر مهامه و بعدها قرر الاختفاء عن الساحة بطريقة فجائية، مرسلا آخر رسالة إلى حبيبته الفرنسية.

و في المقابل هناك علي، شقيق بشير الأصغر الذي يتميز بذكائه الشديد على الرغم من كونه امي لم يدرس طوال حياته. انظم الى صفوف الثورة في سن مبكرة و استطاع اثارة دهشة و اهتمام رؤساءه. فصار يكلف بمهمات كثيرة غالبا ما يكون اغلبها عن نقل الاسلحة او القضاء على شاحنات جنود الاستعمار للاستيلاء على

[1] - L’opium et le bâton P44

اسلحتهم. فكان ينجوا دائما من الفخاخ قبل ان يقع في المرة الاولى رفقة زوج أخته، فاعدم الثاني رميا من الطائرة في حين ترك علي عند جندي ليحرسه فتركه يهرب و هرب معه. لكن يلقى عليه القبض مجددا و لا يستطيع الهروب من مصيره، فيعدم رميا بالرصاص في ساحة القرية امام الاهالي الذين يحبونه.

على الرغم من تركيز الكاتب على مسار الشخصيتين ضمن الرواية لكنه لم يهمل و لم يغفل التحدث – و لو قليلا – عن معاناة أهالي قرية ثالة من الجوع و الحرمان بسبب رفضهم الانصياع لمطالب الجنود الذين كانوا يسيرون القرية، و رفضهم كذلك الافصاح عن أماكن الثوار و المجاهدين. فبعد حرمانهم من الحصول على حصصهم من الطعام إلا عن طريق إيصال « إذا كنت بحاجة الى ايصالات فلا تتردد من ان تطلبها... من بلعيد أو مني »[1] و هذا خوفا من تموين المجاهدين، ينتقل الجنود بعدها الى منعهم من اداء طقوسهم و شعائرهم الدينية بكل حرية. لكن الاحتقار انتقل بعدها إلى تدمير و تقطيع أشجار الزيتون التي تعتبر مصدر رزقهم الوحيد « لم يبقى لكم زيتون ولا خبز »[2] و في الأخير دمرت القرية بأكملها بأمر من الملازم ماركيياك.

[1] - L'opium et le bâton P68

[2] - IBID P261

المبحث الثالث: الشخصية الثورية في رواية الافيون و العصا

من خلال تحليلنا لرواية "الأفيون و العصا"، لاحظنا وجود عدد كبير من الشخصيات التي لعبت دورا كبيرا في تتابع الاحداث و سيرها. سواء كانت بطولية او ثانوية، سلبية أو إيجابية، تنتمي للمجاهدين و الشعب الجزائري او الى جنود الاحتلال الفرنسي. و لكل هذه الشخصيات اراء فيما يخص الطرف الاخر.

المطلب الاول: الشخصيات البطولية والثانوية

*الشخصية البطولية

في هذه الرواية ركز معمري على بطلين اساسيين ليسرد لنا الاحداث من وجهتي نظر مختلفتين، و هذه الشخصيتين هما الاخوين بشير و علي لزرق الذين يمثلان نقطتي اختلاف واضحة في الرواية.

بشير لزرق الطبيب ذو الثلاثين عاما و المثقف الذي يعيش حياة رغدة في المدينة، فهو يلبس الملابس الفاخرة فقد ذكر في الرواية انه « التحف ردائه المنزلي المصنوع من الحرير الصيني (...) ثم وقف أمام مرآة الخزانة الكبيرة »[1]. و هو على علاقة بامرأة فرنسية تدعى كلود. في البداية كان يحاول البقاء بعيدا قدر المستطاع عن الثورة

[1] L'opium et le bâton P13

لكن افكاره كانت متذبذبة طوال الوقت، حتى ان كلود نفسها اتهمته بانه ضدهم في يوم و في اليوم التالي معهم. لكن هذه الراحة سرعان ما تتعرض للعرقلة فيضطر الهرب إلى قريته "تالة" لكنه يفاجأ انهم لا يزالون على وضعهم المزري الذي تركهم عليه، بل أن الأمر صار أسوأ.

« - انه جائع.

- أعطوه ليأكل.

- لا يوجد أي شيء للأكل... »[1]

و السبب انه لم يعد هناك طعام يكفيهم لان المسؤولين عن القرية رتبوا حصص الطعام عند السكان لكي يمنعوهم من اطعام المجاهدين. و بعد مرور بشير على الساس لتسجيل تواجده في القرية، يلتقي أخاه الأكبر بلعيد الذي « باع روحه للمسيحيين... » على حد قول سمينة والدة بشير.

بعد أن ظن الطبيب ان كل شيء أصبح سالما لأجله، وصله خبر إلقاء القبض على صديقه الأستاذ رمضان، من طرف أخيه بلعيد الذي شجعه « (...) لم يبقى لك سوى الهروب... اذهب إلى البوابة الجنوبية، ستجد من يأخذك الى ثكنة عميروش... أسرع » [2]. و من هذه النقطة تسارعت الاحداث لتحول بطلنا من شخصية حيادية ارادت البقاء بعيدة عن الثورة الى مجاهد يداوي اِخوانه و امضى هناك ثلاثة اشهر يقوم بمهامه بنجاح لأنه « يعرف المنطقة تقريبا (...) من الجزائر العاصمة حتى سطيف »[3]. لكنه اصيب بجروح خطيرة على مستوى القدمين خلال محاولته انقاذ سلاح من

---

[1] L'opium et le bâton P63

[2] IBID P108

[3] L'opium et le bâton P141

أيدي العدو، فقام الكولونيل عميروش بتسريحه من مهامه الصعبة في ثكنته و إرساله إلى "لاراش" التي تقع في الحدود المغربية ليعمل هناك. لكن قبل ان يغادر بشير يقرر ان يذهب لرؤية كلود للمرة الاخيرة لكن زيارته تسبب له الاحتجاز من طرف جنود الاحتلال، فيمضي أياما عندهم يحاولون خلالها استنطاقه ليحصلوا على معلومات عن الولاية الثالثة التي يرأسها عميروش لكن الطبيب يرفض ان يقول شيئا إمام إصرار المفوض، و في الأخير يطلق سراحه بعد ان يفقدوا الامل في استنطاقه.

و في هذه اللحظة بالذات ينظم الى المعسكر اين ارسله رئيسه و بعد أيام يغادر الى "مكناس" أين « اكترى شاليه فوق عين-لوح الشاليه الأخير المؤدي للجبال »[1] و سبب اختيار المكان ان الطبيب اراد البقاء بعيدا عن الجميع. لكن خلال بقاءه بالمغرب التقى بفتاة تدعى ايتو عندما طلبه جاره ليداوي مريضة عنده. و التقيا مجددا خلال ذهابه إلى "خنيفرة" و تصبح شخصية مهمة عند الطبيب لكن الكاتب لم يوضح اذا كانت العلاقة بينهما هي الحب او الصداقة لكن إيتو ترافقه إلى "الرباط" لتشتري لوازم عرسها من "ريحو" و لكي تحضر لقضية "ادي-او-بيهي" الذي تقول عنه الفتاة « (...) الاذاعة تقول انه خائن. اريد ان ارى كيف هو شكل الخائن »[2]. فيقبل الطبيب – مُكرها - مرافقتها له لكنه لا يغفل مهمته بالمغرب. و بعد مرور شهر كامل على تواجده مع المغربية يقرر الطبيب العودة الى الجزائر لان مهمته انتهت، فعاد من جديد إلى منزله ب"البيار" أملا الالتقاء بكلود لكنه يجد رسالة عتاب منها و رسالة وداع اخيرة من صديقه رمضان الذي يصارع الموت لكنه انظم لثكنة. و بعد عودته من المنزل يجد شباب جزائريين في تجمع احتجاجي، و بعد تحذيرهم من الجيش الفرنسي القادم إليهم « اسمع. قال الرئيس. إذا أردت المجيء معنا، ادخل إلى الصف. و إلا

[1] IBID P201

[2] IBID P227

واصل طريقك، يا أخي »[1] فاختار بشير الانضمام اليهم. لكن حين وصول الجنود تحدث اشتباكات بين الصفين بسبب محاولات الفرنسيين تفكيك الاحتجاجات. لكن بشير لا يستطيع السيطرة على الفوضى فيهرب قبل القاء القبض عليه و يختبأ داخل فيلا.

لكنه يختفي بعدها عن الاحداث و لا نعرف ماذا حدث له الى اخر الرواية عندما يذكر « كتبت رسالة للتو لكلود و ايتو. كنت اريد ان اكتب أيضا لرمضان (...) ينبغي تصفية الماضي »[2] لكن الكاتب لا يذكر لنا الى اين غادر او في أي مكان هو متواجد، و تبقى بهذا نهايته غامضة للقراء.

الى جانب الطبيب بشير هناك اخوه الاصغر علي لزرق الذي اختار طريقا مغايرا لأخويه الأكبر منه سنا. فقد قرر الانضمام الى العمل المسلح في سن صغيرة، لكن قبل انضمامه لإخوانه الفدائيين قام بزيارة شقيقه لإخباره بقراره « قبل عامين عندما اتى اليه علي إلى عيادته لإخباره بأنه سيصعد إلى الجبل، بشير لم يصدقه كثيرا (...) بعد وقت قصير، وصل بشير خبر ان علي قد انظم الى الولاية الرابعة فوق البليدة، في جبال الشريعة »[3]. لكن انضمامه إلى المجاهدين كان في سرية تامة، حتى ان أمه اشتكت من ذلك لابنتها فروجة « علي ذهب مع أصحاب الجبل دون إخباري، الآخرين هم من اخبروني (...) »[4].

---

[1] L'opium et le bâton P310

[2] IBID P379

[3] IBID P57

[4] L'opium et le bâton P55

في الفترة الأولى لانضمامه إلى المجاهدين كان محل شك لدى رؤساءه بسبب صغر سنه و شكهم انه واحد من الجواسيس. حتى ان هذا يظهر في حوار رئيسه في الثكنة له « و من يؤكد انك لست من الشرطة ... خائن، او جاسوس من طرف العدو ؟ »[1]. لكن علي و بفطنته يثبت انه جدير بالثقة، حتى أنه « نزل الى البليدة... و اسبوع بعد ذلك صعد مجددا الى الشريعة... بمدفع رشاش »[2]. و لما اثبت لرؤسائه انه محل ثقة، صار يكلف بمهمات و قد « وصله أمر الانضمام إلى ايت-وعبان مع عشرة من رجاله، لكن عليه تجنب المعركة (...) » غير ان هذه المهمة كانت صعبة جدا بسبب انتشار عدد كبير من جنود العدو في طريقهم. فاضطروا لتقسيم الفرقة الى مجموعات حتى يفلتوا من قبضة الفرنسيين و ذهب علي مع صديقه عمر من طريق أخر، لكنهم سرعان ما وقعوا اسرى لدى جنود الاستعمار فأخضعوهما للتعذيب من اجل الاستنطاق. و بعد ساعات تأتي طائرة و تأخذ عمر.

« - إلى أين هم يأخذونه ؟ قال علي

- إلى المستشفى. قال جورج. من اجل جبر عظامه »[3]

و في اللحظة التي ظن فيها الفرنسي ان رفاقه سيحسنون معاملة *الفلاق*، القي عمر من الطائرة. و بعدها ساعد جورج علي في الهروب من الجحيم. على الرغم من وقوعه اسيرا لدى العدو و احتماليات موته في اي لحظة إلا ان علي لا يتوانى عن العودة الى مهامه العسكرية.

---

[1] IBID P59

[2] IBID P61

[3] IBID P179

لكن بطولاته تنتهي حين يلقي هاملت – مساعد الملازم ماركيياك – القبض عليه مع اكلي. فيؤخذان إلى ساحة دو-تشلنين ليعرض أمام الكل ان بطلهم قد القي عليه القبض و انه لم يعد في وسعهم المقاومة.

« ... - هاه، فروجة؟ قال بعد ان وجدها. أنت تعرفينه، هذا.

(...)

صوت فروجة الخافت قال:

- انه أخي علي »[1]

لكن قبل ان يموت البطل قام ماركيياك بإلقاء علبة سجائر أمام علي و امره بالتقاطها. لكن طلب يأتيه من اكلي يعدله عن الفكرة « إذا انحنيت لالتقاط العلبة، فلن تموت واقفا »[2]. و في لحظة مفاجئة نزلت يد الملازم و اطلق احد جنوده النار على المجاهد علي، فسقط جثة هامدة و انطلقت الزغاريد من تاسعديت (زوجة صديقه عمر) و تبعها الأهالي بالتكبيرات. إلا ان الجنود الفرنسيين اعادوا الهدوء إلى الساحة بإطلاق النار في الهواء. و بعدها اصدر الملازم أوامره، و من بينها « امنع من ان تدفن الجثة »[3] و هو بكلامه هذا اراد ان يترك جثة بطلهم عرضة للحيوانات البرية لتلتهمها. لكن تاسعديت رفضت تركه لولا ان قام الحركي طيب بإبعادها عن القرية، أما اذا دفن المجاهد او ترك تحت الانقاض فليس مذكور في الرواية.

---

[1] L'opium et le bâton P362

[2] IBID P364

[3] IBID P367

*الشخصيات الثانوية:

من المستحيل ان يكتب اي مبدع رواية من دون ان يكون هناك شخصيات ثانوية تساهم في تساير الاحداث. و قد سجلنا في هذه الرواية حضور عدد كبير من الشخصيات بمختلف افكارها و فئاتها العمرية و انتماءاتها الى المجتمع. فمن بينها نجد جنود الاحتلال فلهم « حضور قوي في الرواية باعتبارهم المسئول الاول عن تسيير شؤون القرية »[1] و منهم الملازم ديليكلوز و بعده استبدل بالملازم ماركبياك و مساعده هاملت، إلى جانب الملازمين الاخرين الذين واجههم بشير او علي خلال مسيرتهم في الرواية. و اذا وضعنا هذه الشخصيات ضمن "الشخصيات الفرنسية" فيمكننا إضافة كلود صديقة بشير لزرق على الرغم من كونها ضد الاستعمار الفرنسي و استبداده.

الى جانب الدور الكبير لسكان القرية و المجاهدين الاخرين في تساير الاحداث و تعاقبها. فلهم ادوار عظيمة في الرواية على الرغم من تصنيفهم ضمن الشخصيات الثانوية. فمعظم المجاهدين هم من قرية تالة و القرى المجاورة منها. و دون ان ننسى الدور الكبير للمرأة الامازيغية الجزائرية ضمن الاحداث و حضورها القوي في الرواية، فهي تتجلى في « فروجة و باقي نساء القرية اللاتي كان لهن الفضل الكبير في تهيئة أماكن إخفاء الثوار »[2].

[1] - سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة. بحث. ص7

[2] -نفس المرجع ص10

المطلب الثاني: الشخصيات الايجابية و السلبية

من خلال دراستنا للرواية و بعد تقسيم الشخصيات إلى بطولية و ثانوية، وجدنا انه بإمكاننا ايضا تقسيمها الى سلبية و ايجابية. و السبب في هذا الاختيار هو اننا انتبهنا للتناقض الحاصل بين الشخصيات في هذه الرواية، فهناك فرنسيين جاءوا ضد الاستعمار و في المقابل جزائريين يخدمون أسيادهم الفرنسيين، أو ما نطلق عليهم ب *الحَرْكَة*.

الشخصيات الايجابية:

هي الشخصيات التي نطلق عليها أيضا "الشخصيات المساعدة" فهي شخصيات لها دور فعال في الرواية من خلال مساعدتها للبطل أو للأبطال خلال مسيرة الأحداث في الرواية. فبعد الطبيب بسير و المجاهد علي، نبدأ بسكان تالة، فأبناءها قد لبوا نداء الوطن و صعدوا الى الجبال من اجل محاربة الاستعمار و من اجل الاستقلال، فمعظم رفاق علي من ابناء قريته او من القرى المجاورة لها. و قد كان لهؤلاء المجاهدين حضور خاص في الرواية حيث كان لهم دور كبير في إنجاح مسار الثورة، دون ان نغفل ذكر شجاعة سكان القرية على الرغم من احاطة الأخطار بهم ففي « الصباح مع الفرنسيين يجب لعب دور الضحية (...) في الليل مع المجاهدين كنا إخوة، مجبرين

فقط على الاتفاق مع العدو لتسهيل عمل جيش التحرير (...) »[1]. و كذلك لعبت المرأة دورا كبيرا من ضمن الشخصيات المساندة، فقد كانت نساء القرية « لهن الفضل الكبير في توفير ما يحتاج اليه الثوار مع تهيئة أماكن إخفائهم »[2]. الى جانبهم هناك شخصية بلعيد (شقيق علي و بشير) الذي لعب دور العميل المزدوج، ففي ظاهره ولاء و صداقة للفرنسيين في حين انه كان يعمل سريا مع المجاهدين في تامين تحركاتهم داخل القرية. فبلعيد هو من قام بتهريب شقيقه بشير و هو كذلك المهتم بتسيير شؤون القرية. و بعد اكتشاف أماكن المخابئ في القرية، قام بجمع سكان تالة من اجل الفصل في امورهم و لأجل ان يكونوا على اتم الاستعداد اذا حدث لهم أي هجوم « لا يجب ان يكون الرجال كل واحد بمفرده أمام الفرنسيين »[3] لكن عمله المزدوج يكشف من طرف الملازم ماركيياك الذي يمنعه بعد ذلك من التواجد في مكتبه حينما يكون هناك اجتماع مهم.

اما الشخصيات الاخرى الايجابية هي شخصيات تنتمي الى العدو الفرنسي لكن حدث لها ما جعلها تنتقل من المجموعة السلبية الى المجموعة الايجابية. اولها كلود صديقة الطبيب بشير فهي كانت « مناوئة لما يحدث من ظلم و استبداد للجزائريين »[4].

و ابرز شخصية اخرى هي الجندي الفرنسي جورج شوديي الذي ترك عنده المجاهدين علي و عمر، فالملازم دليكلوز « عهد بهما إلى شوديي شخصيا »[5] و لم

---

[1] L'opium et le bâton P117

[2] سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة. بحث. ص10

[3] L'opium et le bâton P329

[4] سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة. بحث. ص10

[5] L'opium et le bâton P176

يختر احدا غيره لأنه الملقب بعين الوشق: أي العين الحذرة و الفطنة لكل شيء. و عندما رأى الملازم و ضابط اخر يأخذان عمر على متن المروحية ظن أنهما سيأخذانه إلى المستشفى، حتى انه قال لعلي: « انتم تقتلوننا و نحن ندفع لكم رحلات في الطائرة (...) »[1]. لكنه فوجئ بما حدث بعد ذلك عندما رمي بعمر من الطائرة و تحول امامهما الى اشلاء متناثرة. و في هذه اللحظة بالذات « صحا الجانب الإنساني لديه بسبب تأثره بما حصل للسجين الأول »[2] فقام بتهريب السجين الآخر، و بعد صراع داخلي قرر هو الاخر اللحاق به لأنه سئم رؤية كل ما يقوم به الفرنسيين في تعذيب في حق الجزائريين. و في الطريق حدثت لهما مطاردة طويلة تحت جنح الليل « لن نمضي الليل في مطاردة بعضنا او النظر كل واحد الى الاخر... »[3]. فبقيا كل في مكانه حتى وصل امامهما قروي مع بزوغ الفجر، فأخذهما معا الى منزله ليستريحا. على الرغم من اصرار جورج على انه في حالة هروب، إلا ان علي لا يصدقه. كما انه لا يخبره بوجهتهما.

« - لا يزال بعيد ؟ قال.

- ماذا ؟

- إلى أين نحن ذاهبين.

- لا ادري، لا اعرف البلاد. »[4]

---

[1] L'opium et le bâton P180

[2] سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة. بحث. ص09

[3] L'opium et le bâton P186

[4] IBID P191

و خلال استراحتهما هذه اخذ الجندي آخر علبة لحم مصبر من حقيبة الظهر، و اراد تقاسمها مع علي لكن المجاهد رفض مصرا « انه خنزير، في ديانتنا لا نأكل لحم الخنزير »[1] و هذا اثار غضب الفرنسي الذي حاول بشتى الطرق اقناعه انه لحم بقر مصبر. و امام عناد المجاهد قام جورج بإلقاء العلبة بأكملها بعيدا على الرغم من استطاعته الاكل منها، لكنه برر فعله بعد ذلك « ديني يمنعني من الاكل امام صديق يتضور جوعا »[2]. و بهذا اكد لعلي انه ليس مصدر خطر على إخوانه المجاهدين، فقرر إخباره ان الثكنة ليست بعيدة.

الشخصيات السلبية:

او ما يطلق عليها ايضا بالشخصيات المعارضة او المعرقلة. و هي شخصيات تنتمي في اغلبها الى جنود الاستعمار الفرنسي و ما يحيط بهم. فهؤلاء لهم حضور قوي في الرواية باعتبارهم « المسؤول الأول عن تسيير شؤون القرية »[3]. و هم من اللذين احتك بهم بشير و علي خلال مسارهم في الرواية.

اولهم الملازم ديليكلوز الذي كلف بتسيير شؤون القرية هو و جنوده، فهو فاعل مضاد اراد القضاء على المشكل الاساسي الذي كان يواجهه و هو المجاهدين. حينما التقى ببشير في اليوم الاول من عودة الطبيب إلى القرية، حاول الملازم ان يلعب دور

---

[1] IBID P191

[2] L'opium et le bâton P192

[3] سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة. بحث. ص7

المدافع عن القرية « يجب حمايتهم من المنطق الخادع (...) الإغراءات الخطيرة »[1] و كأن بقوله هذا يحاول القول بأنه ليس مسيطر و انما يحاول فقط القضاء على مصادر الإزعاج (أي المجاهدين) حتى انه هو نفسه من استطاع الايقاع بالمجاهد علي و صديقه عمر في كمين نصبه لهما، و أخضعهما للاستنطاق بالضرب حتى يعرف مكان عميروش. على الرغم من صلابة الملازم ديليكلوز و حدة تعامله مع سكان القرية إلا انه لم يكن بقسوة الملازم الآخر ماركيياك، لأنه كان يتغاضى عن بعض الامور التي تحدث امامه.

بعد الملازم ديليكلوز قامت السلطات باستبداله بماركيياك. هذا الملازم احدث عدة اضرار في القرية. بدايتها كانت خلال اجتماع قام به مع الاهالي للبحث عن المجاهدين او المتمردين حسب ما يناديهم به هو شخصيا. « سيدي الكابتن، قال الطيب، انهم يقولون انه ليس هناك متمردين في القرية، لكن في الحقول لا نستطيع رؤيتهم... بسبب أشجار الزيتون »[2] و بهذه الحيلة من طرف الخائن قام الملازم بإصدار أمر اجتماع كل الاهالي عند الفجر في ساحة الاجتماع حاملين معهم المناشير و الفؤوس و المناجل ليقطعوا بها أشجارهم، و بهذا قضى على مصدر استرزاقهم الوحيد في الزيت الذي كانوا يبيعونه. و مرة أخرى قام بإصدار الأمر بإعدام المجاهدين علي و اكلي بعد ان تمكن مساعده هاملت القاء القبض عليهما. و في الأخير، و بعد فشله في إحكام السيطرة على القرية، اصدر آخر أوامره « أمنحكم ساعة واحدة من اجل إخلاء تالة، بعد ساعة سيتم تدمير القرية... بالمدافع »[3].

---

[1] L'opium et le bâton P65

[2] L'opium et le bâton P256

[3] IBID P367

الشخصية الاخرى التي كان لها دور كبير في تغير احوال القرية هو شخصية الخائن الطيب. هو من ابناء القرية لكنه كان محتقرا من طرفهم لأنه كان فقيرا و لا يمتلك اشجار الزيتون مثل غيره من ابناء القرية. هذا ما دفعه الى حفر طريقه بنفسه من وسطهم لأنه كان « يعيش في الخوف و المجاعة، و الجوع لم يكن يفارقه ابدا »[1]. لكن حين وصول ديليكلوز الى القرية احتاج السكان إلى مسؤولين فكروا به بمجرد ان ذكر اللقب الذي كان يطلق عليه. في بداية مهامه كان يتجول في القرية حاملا أوامر الملازم لأهل القرية، كبر الأمر اكثر فبعد ان كان « يسير ملتصقا بالحائط، صار يمشي مستقيما (...) »[2]. و حدث له تحول عظيم خلال شهر واحد فقط حتى انه اصبح يصدر الاوامر بنفسه على سكان القرية و يحظى على الهدايا منهم لتجنب بطشه عليهم. فأصبح خائن يبيع اخوان بلده للعدو و يقدم لهم الخدمات مقابل حصوله على امتيازات عندهم. و على الرغم من قسوته الشديدة على اهل القرية، الا انه لم يكن سوى يرد عليهم الاهانات التي كان يحصدها في حياته الماضية. حتى ان احد انتقاماته كان عن طريق أشجار الزيتون، فقد سخر منهم « لقد احتاج أجدادكم لخمسة عشر قرن لأجل زراعة الزيتون، لكن احتاج الكفار خمسة عشر يوم لكي يقطعوها »[3]. لكن ضميره الانساني عندما يقتل المجاهد علي و يكلف الملازم جنوده بتفجير قريته.

---

[1] IBID P98

[2] L'opium et le bâton P99

[3] IBID P259

خاتمة:

عرفت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية عصرها الذهبي ابان الثورة التحريرية، فهذا الأدب كان مزدهرا بشكل كبير بسبب قدرة الادباء على التعبير عن قضايا وطنية بلغة غير لغتهم. فأعمال مولود فرعون، كاتب ياسين و محمد ديب تظل و كأنها أعمال عربية تم ترجمتها إلى الفرنسية لأنها حملت بصدق ألام الشعوب و أمالهم، و شهدت على همجية الاستعمار.

و من خلال كل ما سبق من فصول وصلنا في هذه الخاتمة الى النتائج التالية:

- تحمل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في طياتها ثورة عارمة و على جميع الاصعدة ضد المستعمر الذي حاول طمس معالم الشخصية الوطنية.
- تعتبر الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ظاهرة مهمة في تاريخ الادب المغاربي.
- عبر كتاب الرواية الجزائرية بقلم فرنسي لكن بقلب عربي و امازيغي، فتناولوا قضايا اجتماعية عاشها الشعب و دافعوا عنها بأقلامهم.
- الشخصية بكل أبعادها و أنواعها مهمة كثيرا في الروايات خاصة تلك التي تعالج قضايا وطنية.

- اعمال مولود معمري الروائية لاقت اقبالا كبيرا لدى القراء على الرغم من عدم ترجمتها الى العربية، لان الكاتب استطاع التعبير ببراعة عن قضاياه الوطنية.

- رواية الافيون و العصا و على الرغم من بساطتها استطاعت ان توصل الينا فكرة كبيرة و هي ضرورة النضال من اجل الوطن.

و في الختام لا يسعنا سوى ان نقول ان رواية الافيون و العصا بمثابة طرح مباشر للقضية الجزائرية و تكذيب لادعاءات المشككين في مصداقية الثورة. كما تحمل هذه الرواية في طياتها عادات و تقاليد المجتمع الامازيغي الذي ينتمي اليه الكاتب.

قائمة المصادر و المراجع:

أ – المصادر:

***بالعربية:**

1 - ابن منظور. لسان العرب. ط1. دار احياء التراث 1999. ج7

2 - الخليل بن احمد الفراهيدي. كتاب العين. دار الكتب العلمية. ج2

3 - بوجادي علاوة. ليلة احميدة العسكري. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1983

***بالفرنسية:**

Mouloud Mammeri. L’Opium et le Bâton. Press Pocket. 1972

ب – المراجع:

1 - ابو القاسم سعد الله. دراسات في الأدب الجزائري الحديث. ديوان المطبوعات الجامعية.

2 - احمد محمد عطية. البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة. وزارة الثقافة السورية.

3 - احمد منور. الادب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياه. ديوان المطبوعات الجامعية.

4 - ذويبي خثير الزبير. سيمولوجيا النص السردي، مقاربة سيميائية لرواية الفراشات و الغيلان. دار هومه.

5 - عايدة اديب بامية. تطور الادب القصصي الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية. 1982

6 - عبد الملك مرتاض. في نظرية الرواية. عالم المعرفة.

7 - علال سنقوقة. المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية. منشورات الاختلاف. ط1.

ج – رسائل جامعية و بحوث:

1 – بشير بويجرة. الزمان في الرواية الجزائرية الحديثة. مخطوط دكتوراه. جامعة وهران.

2 - جبور ام الخير. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيونقدية. اطروحة لنيل دكتوراه. جامعة وهران.

3 – فيران فاطمة الزهراء. اشكالية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،(...) الدروب الوعرة انموذجا. بحث تقريري لنيل شهادة الليسانس. جامعة مغنية.

4 - وذناني بوداود. تجليات الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية. مقاربة في بعض النصوص. جامعة الاغواط.

5 - سامية مشتوب. الثورة الجزائرية و حضورها في الرواية الجزائرية فرنسية اللغة. بحث.

د – المجلات:

1 – الصالح مفقوده. نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس و التأصيل. جامعة بسكرة

2- ايمان العامري. صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية. مجلة البحوث و الدراسات الانسانية. العدد 10

3 – رضوان عاشور. الروائي والتاريخ. مجلة الطريق عدد1981/3

4 – عامر رضا و كربيع نسيمة. مجلة علوم اللغة العربية و ادابها. العدد الاول

5 – محمد ساري. الادب الجزائري الحديث: المؤسسون و التحديات الكبرى. 2012

6 - نوال بن صالح. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير، صراع اللغة و الهوية. مجلة المخبر. العدد السابع

هـ – مواقع الانترنت

1 – بوداود عمير. طه حسين و مولود معمري...معا في الربوة المنسية. نفحة، اصنع رايك بنفسك. 2016

2 – حمزة عماروش. محطات خالدة في حياة "مولود معمري". جزايرس، محرك بحث اخباري. 2010

3 – مالك وليد. تعريف الشخصية. موضوع، اكبر موقع عربي بالعالم. افريل 2014

4 – ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الفهرس:

شكر و تقدير

الاهداء « صونية »

الاهداء « نوميديا »

مقدمة.....أ

مدخل.....1

الفصل الاول: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

***المبحث الاول**: الادب الجزائري في ظل الثورة التحريرية.....9

***المبحث الثاني**: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية..... 17

المطلب الاول: التعريف بالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....17

المطلب الثاني: نشأة و تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....20

المطلب الثالث: رواد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....25

الفصل الثاني: مولود معمري و رواية الافيون و العصا

*المبحث الاول: مولود معمري... حياته و مؤلفاته.....29

المطلب الاول: حياة الكاتب.....29

المطلب الثاني: ما يميز أعماله.....31

المطلب الثالث: بعض أعماله.....33

*المبحث الثاني: بطاقة قراءة لرواية الأفيون و العصا.....35

المطلب الاول: دلالة العنوان.....35

المطلب الثاني: مصادر الرواية.....37

المطلب الثالث: ملخص الرواية.....38

*المبحث الثالث: الشخصية الثورية في رواية الافيون و العصا.....41

المطلب الاول: الشخصية البطولية و الشخصيات الثانوية.....41

المطلب الثاني: الشخصيات السلبية و الشخصيات الايجابية.....48

خاتمة.....54

قائمة المصادر و المراجع.....56

الفهرس.....60

رواية الهضبة المنسية

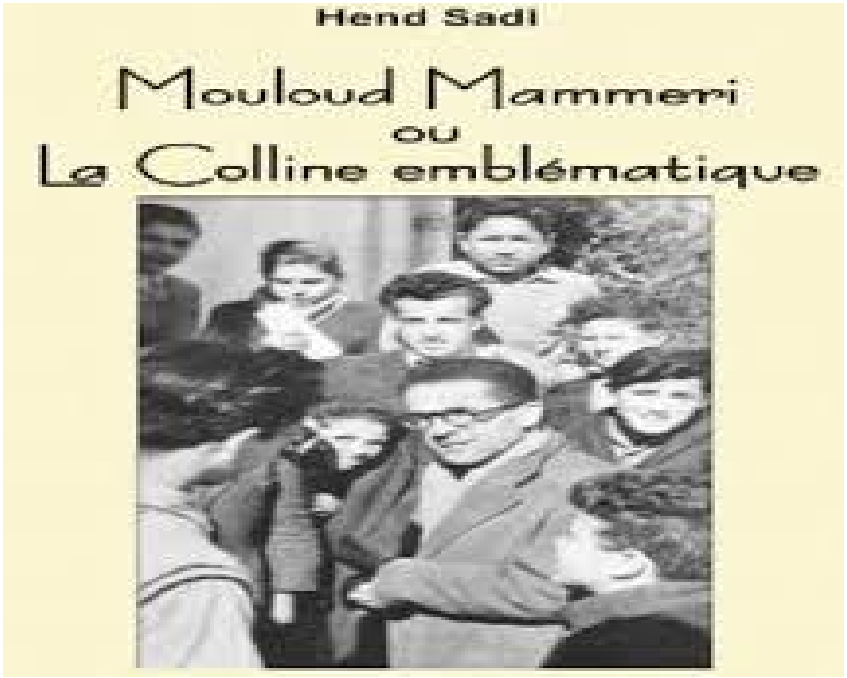

كتاب عن مولود معمري

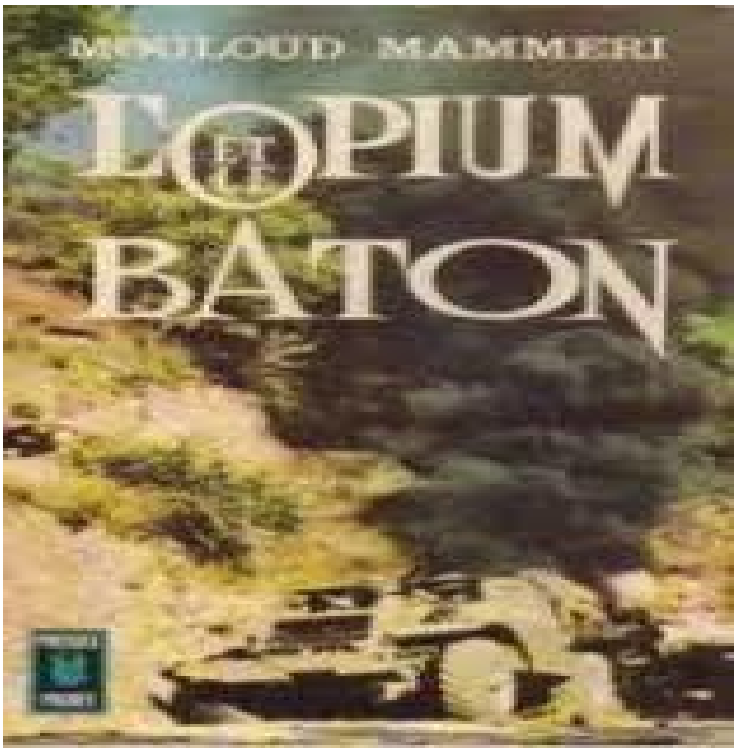

رواية الأفيون والعصا

الروائي الجزائري مولود معمري